ISSN 2437 - 0355

العدد الحادي عشر فيفري 2020

مجلة علمية محكمة
مفهرسة نصف سنوية

تصدر عن
مخبر الدراسات اللغوية و الأدبية
بجامعة سوق أهراس بالجزائر

11

رؤى فكرية

ROUA FIKRIA

A refereed and indexed research Journal

Issued semi annually by Laboratory of Literary and Linguistic Studies

Mohammed Sherif Messaadia University-

Souk Ahras

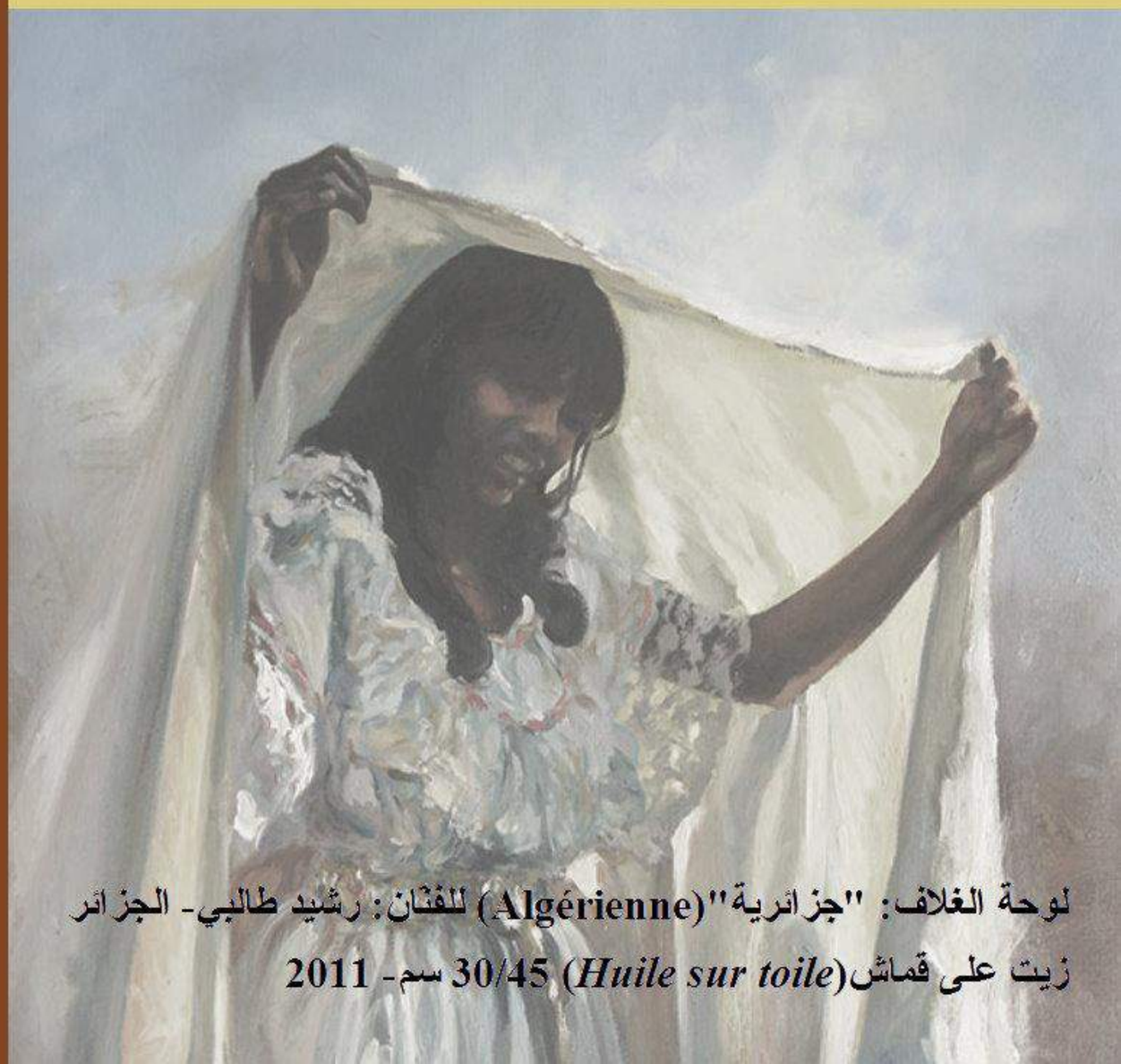

لوحة الغلاف: "جزائرية"(Algérienne) للفنان: رشيد طالبي- الجزائر
زيت على قماش(*Huile sur toile*) 30/45 سم- 2011

رؤى فكـــرية

مجلة علميّة نصف سنوية محكمة ومفهرسة
تعنى بقضايا اللغة والأدب والنقد والترجمة
تصدر عن مخبر الدراسات اللغوية والأدبية
جامعة محمد الشريف مساعدية سوق أهراس/
الجزائر

رقم الترقيم الدولي: ISSN 2437- 0355

رقم الإيداع القانوني: 6173- 2015 ردمك

العدد: 11 (فيفري 2020)

الرئيس الشرفي

أ.د عبد الكريم قواسمية

مدير جامعة سوق أهراس

مديرة المجلة: د. عبد الرحمن مشنتل

رئيسة التحرير: د. بهاء بن نوار

هيئة التحرير:

د. فائزة لولو

د. عبد الغني بن صولة

البريد: مخبر الدراسات اللغوية والأدبية جامعة محمد الشريف مساعدية سوق أهراس/ الجزائر القطب الجامعي الجديد، 80 مكتب، ص ب1553، سوق أهراس، 41000 الجزائر.

البريد الإلكتروني: revue.lell@univ-soukahras.dz

اللجنة العلمية

- أ.د. سليمة لوكام: جامعة سوق أهراس
- أ.د. عبد الحفيظ حرزلي: جامعة سوق أهراس
- أ.د. عبد الوهاب شعلان: جامعة سوق أهراس
- أ.د. أحمد علي الفلاحي: جامعة الفلوجة/ العراق
- أ.د. سامية عليوي: جامعة عنابة
- أ.د. عبد الحق بلعابد: جامعة قطر
- أ.د. عبد الرحيم مراشدة: جامعة عجلون الوطنيّة/ الأردن
- أ.د. عبد المجيد حنون: جامعة عنابة
- أ.د. عقيل عبد الحسين: جامعة البصرة/ العراق
- أ.د. عماد الضمور: جامعة البلقاء التطبيقيّة/ الأردن
- أ.د. فائز طه عمر: جامعة الشارقة/ الإمارات
- أ.د. محمد هموش: جامعة القنيطرة/ المغرب
- أ.د. مليكة بوراوي: جامعة عنابة
- أ.د. نظيرة الكنز: جامعة عنابة
- د. مدنحة عتيق: جامعة سوق أهراس
- د. نصر الدين بن عبد الله: جامعة سوق أهراس
- د. حنينة طبيش: جامعة خنشلة
- د. سلوى السعداوي: جامعة منوبة/ تونس
- د. لونيس بن علي: جامعة بجاية

قواعد النشر

- تنشر المجلة البحوث باللغات الثلاث: العربية والفرنسية والإنجليزية.
- أن يكون البحث أصيلا، وغير منشور سابقا، وأن يخضع للمواصفات العلميّة، والمنهجيّة المتعارَف عليها، ويتعلّق بمباحث اللغة والأدب والنقد والترجمة.
- يلتزم الباحث بتوقيع وإرسال تعهّدٍ بعدم نشر بحثه أو إرساله إلى جهة ثانية للنشر، ولا يُقبَل أيّ بحثٍ دون هذا التعهّد. علما أنّ النموذج متاحٌ على موقع المجلة الإلكترونيّ.
- ألا تتجاوز صفحاته 20 ص، وألا تقلّ عن 10 ص. ويُكتب بخط: Traditional Arabic بحجم: 16.
- أن تكون الهوامش في آخر البحث، وغير آلية، ومكتوبةً بحجم: 14. والمسافة بين الأسطر: 1,00
- أن يكون البحث منقحا لغويّا ومطبعيّا، مع ضرورة عدم ترك فراغ بين علامات الوقف وما قبلها، وبين واوات العطف وما بعدها.
- أن يُرفق البحث بملخص عربيّ وآخر أجنبي لا يتجاوز عدد كلماته 200 كلمة، وبقائمة من الكلمات المفتاحيّة، لا تتجاوز الثماني كلمات.
- تُقبَل المقالات المترجمة، شرط أن ترفق بالنصّ الأصليّ.
- تخضع جميعُ الأبحاث للتحكيم دون استثناء.
- يحقّ لهيئة التحرير إعادة صياغة بعض الجمل أو حذفها، بما لا يخلّ بمضمون البحث.
- الأفكار الواردة في المقالات تلزم أصحابَها، ولا تعبّر بالضرورة عن أفكار أسرة تحرير المجلة.
- لا تعاد المواد إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.
- ترتيب المواد يخضع لاعتبارات فنيّة، وتقنيّة.
- لا تقبل المجلة الأبحاث التي لا تلتزم بالضوابط السابقة، ولا تردّ على أصحابها.
- تُنشَر المواد حسب مستلزمات العدد العلميّة.
- تُرسَل البحوث إلى البريد الإلكترونيّ التالي: revue.lell@univ-soukahras.dz

ROUA FIKRIA

A refereed and indexed research Journal

Issued semi annually by Laboratory of Literary and Linguistic Studies

Mohammed Sherif Messaadia University/Souk Ahras

Director of honor
Prof. Abdelkarim Guesmia
Director of journal
DR. Abderahmen Mechantel
Editor-in-Chief
DR.BAHA BENNOUAR
Editorial board
- DR. Faiza Lolo
-DR. ABDELGHANI BENSOULA

Address : Mohammed Sherif Messaadia University/Souk Ahras, BP1553, Souk Ahras, 41000, Algeria

Tel/ Fax: 037722020-037722116

Email: revue.lell@univ-soukahras.dz

ISSN: 2437- 0355
Issue n°: 11

الغيرية الدّينية في خطاب الأمثال الشّعبية الجزائرية

– دراسة ثقافية –

د. فاطمة الزّهراء بوديسة– جامعة المسيلة

د.سماح بن خروف– جامعة برج بوعريريج

الملخّص:

يسعى هذا المقال إلى الكشف عن تمثّلات الغيرية الدّينية في خطاب الأمثال الشعبية الجزائرية والمتجسدة في الآخر اليهودي والآخر النّصراني، ويتم ذلك من خلال مساءلة منظومة القيم السائدة، والحفر في أبعادها العقائدية، والأخلاقية المبثوثة في الخطاب المثلي باعتباره جزءا مهما من أجزاء الثقافة الشعبية ومكوّنا رئيسا من مكونات الفكر الجمعي. ومن ثم رصد ملامح صورة الآخر الدّيني التي رسمها هذا الفكر وعمل على ترسيخها من خلال عمل الأنساق الثّقافية المضمرة والمؤثرة في الذّهنية الشعبية، والموجهة لسلوكياتها ورغباتها.

الكلمات المفتاحية: الغيرية، الآخر اليهودي، الآخر النّصراني، الأمثال الشّعبية، الأنساق الثّقافية.

Abstract:

The research experience of this article stems from the attempt to seek to reveal the representations of religious other in the discourse of Algerian popular proverbs by delving into the doctrinal and moral dimensions and the accountability of the value system that prevails in popular culture. , then unveiling the image of The religious other represented among Jews and Christians From the point of view of the Algerian popular imagination.

Keywords :alterite, The other Jewish, The other Christian, proverbs, Cultural formats.

توطئة:

تمثّل الأمثال الشعبية بوصفها شكلا فنيا له خصوصيته التعبيرية، –والتي تمتاز بالعفوية والتلقائية والبعد عن الرقابة الرسمية–، صوت الجماعة الشّعبية ومخزون تصوراتها ورؤاها، فهي تنمّ عن تمثّل مكثّف للتجارب والسلوكيات الفردية والظواهر الإنسانية، كما تعكس صور جدل رؤية الذّات للغير سواء كان هذا الغير قريبا يتشارك معها مقومات الهوية والانتماء الاجتماعي أو الثّقافي أو الجغرافي أو العقائدي...لكنه يختلف عنها في تموضعه الأسري أو الطبقي أو الجنسي. أو كان هذا الغير بعيدا غريبا والذي تبقى وقفة الذّات أمامه "باختلافه الثقافي والعقيدي والعرقي وقفة مشوبة بالقلق فهي تبحث عن المختلف أملا في الوصول إلى المؤتلف"1 وسيكون هذا الغير المختلف عقائديا ودينيا موضوع مقالنا.

انطلاقا من هذه التوطئة يمكن طرح الإشكالية الآتية: هل استطاعت الجماعة الشعبية تشكيل صورة إيجابية عن الآخر الديني؟ أم أنّها صورة سالبة؟ وما الدور الذي اضطلعت به الأنساق الثقافية في ذلك؟

وسنحاول في هذا المقال الإجابة عن هذه التساؤلات وإثارة نقاط أخرى مهمة من خلال الحفر في الخطاب المثليّ فيما سيأتي من صفحات لكن نقترح أوّلا ضبط مفاهيم الدراسة.

1-ضبط المفاهيم:

1-1الغيرية

تعدّ الغيرية من أهم المباحث التي تشتغل عليها الدراسات الثقافية وتعني كمصطلح "الغيرية" alterite: "الحالة التي يكون عليها الآخر أو المختلف... ذلك الآخر المتموضع فعليا في سياق سياسيّ أو ثقافي أو لغوي أو ديني"2 سواء كانت هذه التّموضعات السياقية تفضي إلى التشابه والتماثل أو إلى الاختلاف والتباين ولعلّ هذه الثنائيات هي المسؤولة عن توجيه دفّة الهوية Identite "إذ يرجع الدارسون وفي مقدمتهم فوكوه مفهوم الهوية "إلى النّظام المعرفي الذي يستند في أبسط أشكاله إلى التشابهات والاختلافات"3

لقد تبنى الفلاسفة هذا المصطلح كبديل لمصطلح الآخرية Otherness لنقل مجال الاهتمام من الآخر المعرفي المختزل في مسألة كيفية معرفة الأذهان الأخرى إلى الآخر الأخلاقي ذي القابلية الأكبر للتعيين4 من خلال تموضعاته الفعلية في سياقات مختلفة.

كما يرى الدارسون أنّ مفهوم الغيرية يأتي مرادفا لمفهوم الصورة في حالات معينة من حيث هو صيغة تمثيلية تتضمن فعل المحاكاة المخالفة للأصل5 وهذا ما نجده بكثرة في الخطاب المثلي وسنتعرف على هذا النوع بصورة أوضح من خلال الصفحات القادمة من هذا المقال لكن قبل هذا وجب التعرف على مفهوم المثل الشعبي.

1-2 الأمثال الشعبية:

حظي المثل في المرجعيات العربية بالكثير من الحفاوة، سواء تعلق الأمر بالتراث العربي القديم أو بالاجتهادات الحديثة؛ فبالرجوع للتراث نجد قول ابن عبد ربه في عقده الفريد: "الأمثال هي وشي الكلام وجوهر اللفظ وحلي المعاني والتي تخيرتها العرب وقدمتها العجم ونطق بها في كل

زمان وعلى كل لسان فهي أبقى من الشعر وأشرف من الخطابة ولم يسر شيء مسيرها ولا عم عمومها، حتى قيل أسير من مثل"6 .

ينبّه هذا التعريف إلى الخاصية الجمالية، وكذلك خاصية الشيوع والتداول كما يؤكد على ظاهرة سعة تداول المثل وتميزه عن باقي الأشكال الأدبية المعروفة في ذلك العصر.7

ومن بين التعريفات الحديثة المتداولة تعريف أحمد أمين في كتابه الموسوم بـ: "قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية "إذ يقول: "الأمثال الشّعبية نوع من أنواع الأدب يمتاز بإيجاز اللفظ وحسن المعنى ولطف التشبيه وجودة الكناية، ولا تكاد تخلو منه أمّة من الأمم، ومزية الأمثال أنَّها تنبع من كل طبقات الشعب"8 . ويضيف خاصية أخرى للمثل وهي عنصر التجربة، إذ يذكرها في كتابه المعنون بـ "فجر الإسلام" حيث يقول "المثل لا يستدعي إحاطة بالعلم وشؤونه ولا يتطلب خيالا واسعا ولا بحثا عميقا، إنَّما يتطلب تجربة محلية في شأن من شؤون الحياة"9

ويطالعنا رشدي صالح بقوله: "إن المثل هو هذا الأسلوب البلاغي القصير الذائع بالرواية الشفهية، المبين لقاعدة الذوق، أو السلوك الشعبي، ولا ضرورة لأن تكون عباراته تامة التركيب بحيث يمكن أن نطوي في رحابه التّشبيهات والاستعارات والكنايات التقليدية..."10 فيُجمل في تعريفه خصائص المثل شكلا ومضمونا.

1-3- الدّراسة الثقافية المفهوم وميدان الاشتغال:

دخل مصطلح الثقافة للدراسة النقدية" باعتباره أنساق قيم السلوك والمعاني التي تشكل الكائنات الإنسانية وتحيا داخلها"11 ولو حاولنا تقديم مفهوم يحدّد هوية النّقد الثقافي في أوساط الدارسين نجد" أنّه نشاط فكري يتّخذ من الثقافة بشموليتها موضوعا لبحثه وتفكيره

ويعبر عن مواقف إزاء تطوراتها وسماتها"12 . انطلاقا من هذا التعريف نجد أنّ النّقد الثقافي نشاطا وليس حقلا معرفيا قائما بذاته.

وإذا تم توجيهه للأدب بشكل خاص – لا الثّقافة بشكل عام- فيكون مجاله هو النص" ولكن النص هنا يعامل بوصفه حامل نسق، ولا يقرأ النص لذاته ولا لجماليته، وإنّما نتوسل بالنص لنكشف عبره حيل الثقافة في تمرير أنساقها"13 . ومن هنا يعتبر النص" مادة خام تستخدم لاستكشاف أنماط معينة من الأنظمة السردية والإشكاليات الأيديولوجية وأنساق التمثل...وبالتالي النص ليس الغاية وإنّما الغاية المبدئية للدراسات الثقافية هي الأنظمة الذاتية في فعلها الاجتماعي في أي تموضع كان بما في ذلك التّموضع النّصوصي"14

وترتبط أهمية الدراسة الثقافية بأهمية الثقافة في حدّ ذاتها؛ لأنّ الثقافة بكل أنساقها إنّما مجال رمزي مشبع بالمعاني والأفكار والعقائد والأنماط والعلاقات الاجتماعية والتطلعات وكل المؤثرات الفاعلة التي تصوغ الهوية العامة لمجتمع من المجتمعات، ولهذا لا يمكن تقدير أهمية النّقد الثقافي بدون أن نكشف عن محولات كثيرة ومتنوعة ومركبة من عناصر إيجابية وسلبية، تعبر عن نفسها بشكل أحكام ورغبات مدارها الذم والتبخيس والإكراه والاحتفاء والتمجيد وغير ذلك"15

2- تمثّلات الغيرية الدينية في الخطاب المثلي: اليهودي/النصراني:

يمثل مجتمع الأمثال مرآة عاكسة لمختلف الشّرائح والأطياف والذي كان فيه السمة الأبرز للحضور اليهودي مقارنة مع الحضور المسيحي أو النّصراني، وهذا راجع في الغالب الأعم إلى أنّ اليهود قد مثّلوا في فترة من فترات التاريخ جزءًا من النّسيج الاجتماعي للمجتمع الجزائري، حيث حفظت الذّاكرة الشعبية التفاعل الموجود بين اليهود وبين الجماعة الشعبية، وشهد

التّاريخ والمكان على ذلك، بينما كان الوجود النّصراني عنصرا طارئا ودخيلا على المجتمع لأنّه تمثل في الاحتلال الفرنسي.

2-1 الآخر اليهودي:

بالحفر في الخطاب المثلي الشعبي يتضح أنّ صورة اليهودي تتشكّل من أبعاد مختلفة عقائدية، وأخلاقية، تتضافر لتعكس صور تفاعل اليهودي وتعاطيه مع المجتمع المختلف عنه دينيا وثقافيا.

وبالنسبة للملامح التي ترسم صورة اليهودي في بعده العقائدي والتعبدي فهي تتمظهر وتتكرر في أكثر من مثل شعبي أذكر منها:

1 يهودي صريح ولا لعاب أديان.

2 اليهودي يهودي ولو كان على أربعين عرق.

3 البغل ما ينسى الصّكة واليهودي ما يروح لمكة.

4 أفلس من يهودي نهار السبت.

5 وين مشاو دراهمكم ياليهود قالوا في السبوت والعيود.

6 قهوة بلا دخان كاليهودي بلا حاخام.

تحمل هذه الأمثال في بنيتها السّطحية دلالات الاستهزاء وانتقاد اليهودي لكنها تحمل في بنيتها العميقة دلالة الإقرار والإشادة بتمسك اليهودي بعقيدته والتزامه بشعائره وطقوسه التّعبدية، وتقديره لرموزه وأعياده الدينية.

فالصّراحة الدينية وتمسك اليهودي في المثل الأول بثوابته العقدية في ظل مجتمع مسلم يختلف عنه في الثقافة وجملة العادات والمعتقدات، تجعل من هذا اليهودي محل احترام لوضوحه، له أفضلية العشرة والتعامل على آخر زئبقي لعوب يغيّر دينه بتغيرات الواقع. وكأنّ اليهودية مكوّن وراثيّ متجذر يشكل العمود الفقري لهوية اليهودي، وهذا ما يؤكده المثل الثاني إذ يبقى تأثير سلطة الديانة اليهودية قائما ولو بعد أربعين عرق، وهذه السّلطة هي التي تجعل من تغيير اليهودي لدينه أمرا مستحيلا بدليل نص المثل الثالث والرّؤية الشعبية في هذا المثل تضع حيوان البغل واليهودي في كفة عناد واحدة، وهذا ما ينمّ عن دلالات الإقصاء والتّموضع الهامشي لليهودي داخل المجتمع الجزائري الذي يتحيز بوعي أو بغير وعي للعقيدة الإسلامية والثّقافة العربية.

وتأتي بقية الأمثال الشعبية – الرابع والخامس والسادس–لتمسّ الحياة اليومية لليهود، وتكشف عن درجة تقديسهم لمناسباتهم الدّينية، كتشبثهم بحرمة يوم السّبت، إذ من المعلوم أنّ اليهود يمتنعون عن إتيان أدنى حركة فتتوقف عندهم عمليات البيع والشراء كما يرفضون إشعال النّار من أجل طهي طعامهم. إضافة إلى تمسّك اليهود والتصاقهم الشديد برجالاتهم ورموزهم الدّينية كشخصية الحاخام التي جاء ذكرها في المثل الأخير والتي تعدّ صورة اليهودي مبتورة غير مكتملة دونها. ومن هنا يمكن القول: أنّ السّلوك التعبدي لليهودي ومجموع عاداته ومعتقداته تمثلّ مظاهر ثقافية وسمت هوية اليهودي في الوعي الثقافي للمجتمع الجزائري بوصفه آخر مختلفا.

وبعد البعد التعبدي لصورة اليهودي تأتي الأمثال الشعبية مرة أخرى لترسم لنا ملمحا آخر يتعلق بالبعد الأخلاقي ومنظومة القيم والخصال التي اتصف بها اليهودي وترسّخت في الذاكرة الثقافية. حيث عُرف اليهودي بالبخل وحب المال والجشع وقسوة القلب إضافة إلى الغدر والمكر والخبث...والجدير بالذكر هنا أنّ هذه الملامح لا تقتصر على رؤية المخيال الشعبي

الجزائري، بل هي معروفة اشتهر بها اليهودي في كافة الثقافات الشعبية والآداب الغربية فقد رسم المبدعون "صورة نمطية لشخصية اليهودي من أمثال شكسبير ودوستويفسكي، جورج إليوت تشالز ديكنز..."16 ويمكن أن نرصد هذه الصّورة من خلال الأمثال الشعبية القائلة:

- اليهود ما يقرّو أولادهم غير بالميم.
- ماكلة البناي في دار اليهودي.
- اللي يحب الزين ياخض فرنجية واللي يحب الحيلة ياخض يهودية.
- كلمة الصبّاح وكلمة لعشية تقلب المسلمة يهودية.
- باين على قبور اليهود قلّة الرحمة
- دقول في صيله اليهود.

يشير المثل الأول إلى صفتي البخل والانطواء التي عُرف بهما اليهودي، فحرف الميم دلالة على النفي وهو بداية جمل عامية عدّة على نحو "ما كانش"،"ما عنديش"،" ما عرف"، "مش هنا"،"ما شفتش" إلى غير ذلك من الجمل. ومبرر هذا الرّفض من وجهة نظر اليهودي جاء في نصّ المثل الشّعبي القائل: "أحفظ الميم تحفظك" بمعنى أنّ صدّهم للناس ورفض التعامل معهم –بدون مقابل أو مصالح طبعا–مدعاة لسدّ باب الإزعاج والإلحاح ودرءا للمشاكل التي يمكن أن تنجر عن التّجاوب والتعاطي معهم.

يفصح المثل عن بنية شرطية تتمثل بطرفين:" إن حفظت الرفض حفظك" أو" إن لزمت الصدّ سلمت"، فيكون الطّرف الأول شرطا لتحقق الطرف الثاني، وفي هذا دعوة إلى عدم الاختلاط والتفاعل مصحوبة بدليل يغري ويحث على ذلك وهو السلامة، وربما هذا ما يفسر

تجمع اليهود في أماكن وأحياء معروفة والتي أطلق عليها في أنحاء شتى من التراب الجزائري اسم "لاروكاد "وتعني حي اليهود أمّا المصطلح المعروف في الدّراسات الثقافية فهو الغيتو *Ghett.

ويأتي المثل الثاني في سياق التهكّم ليؤكد على صفة البخل عند اليهودي فعادة ما يحمل الرّجل المقبل على بناء منزله همّ طعام عمال البناء، والذي يثقل كاهله من الناحية المادية؛ لأنه يتوجب عليه إكرامهم، ومن ناحية المواصلات أيضا خاصة إذا بعدت المسافة بين مكان تحضير الطعام وموقع البناء، لذا يضرب هذا المثل إن تعذر على الرجل توفير خدمات الإطعام، وتقديم الإكراميات بنفسه لاستحالة استقبال اليهودي الضّيوف وإكرامهم فالدلالة هنا مفارقة لا يقصد بها المعنى الحرفي. وبهذا تكون كلمة اليهود في هذا المثل وسابقه معادلة لكلمة البخل ومضادة لمعاني الإكرام والضيافة.

ومن بين الصفات الأخرى التي اشتهر بها اليهودي وساهمت في رسم ملامح صورته: الحيلة والغدر، وهذا ما ينصح به الشّطر الثاني من المثل الثّالث، حيث يتم توجيه الرّاغب في تعلم الحيلة واكتسابها إلى الزواج من المرأة اليهودية؛ لأنّها تمتلك ناصية الحيلة والدّهاء، والأمر لا يقتصر على نساء اليهود، بل يتعداه إلى رجالهم الذين عرفوا في التّراث السردي بشدّة دهائهم في معاملاتهم التّجارية ومجادلاتهم الكلامية.

يكشف المثل هنا عن إمكانية التقاء بين الذات الجزائرية بوصفها ذات عربية مسلمة والآخر اليهودي، حيث تغدو المرأة اليهودية نقطة تقاطع وعبور بين الطرفين لكنه عبور يتسم بطابعه النّفعي، إذ تهيمن على هذه العلاقة البنية الاستغلالية، فإمّا استغلال لجسد المرأة من خلال عملية الزّواج، أو استغلال لحذقها وحيلتها من خلال عملية التلقي والتّعلم.

وتجدر الإشارة إلى أنّ هذا الالتقاء نادر ونسبي لا يلبث أن ينتفي، خاصة إذا ما تمّ اعتبار بقية الصفات التي ارتبطت باليهود كصفة الغدر والخيانة، وهذا ما ينصّ عليه المثل الرابع الذي

يعمل على تنفير أفراد المجتمع من تغيير المواقف ونكث العهود؛ لأنّ هذا سيقصيهم من الانتماء الإسلامي وسيضعهم في مرتبة سواء مع اليهود. وهنا يظهر نسق الاستعلاء عن الآخر الديني والتّمجيد والانحياز للذات الإسلامية. ويعتبر هذا النّسق مسؤولًا عن تشكيل البنية العميقة للوعي الجمعي وتوجيه رؤية المخيال الشعبي بما يتناسب ومتطلبات النسق ومن الأمثال الشعبية التي تعزز هذا النسق وتزكيه القول:

- أحباب من الطين وعديان من الدين.
- اللّي ما هوش مسلم شمله.
- اللّي ياخض من غير ملته يموت بغير علّته.

انطلاقا ممّا تقدم يمكن القول أنّ "التحيّز العقدي، والثقافي قد شكّل عائقا لحدوث أي التقاء حقيقي يتجاوز أسوار الثقافة، ويؤسس لحوار ثقافي جاد، وهذا ما جعل المجتمع يحدد موقعا هامشيا للآخر اليهودي"17

قبل الانتقال إلى الحديث عن الآخر المسيحي نشير إلى آخر الصّفات والملامح السلبية التي وسمت منظومة القيم الأخلاقية لليهودي والتي جاء ذكرها في كلّ من المثلين الخامس والسادس وهي قسوة القلب وعدم الرأفة بالناس، وهو ما يعدّ من الصّفات اللازمة التي طبعت الصورة التقليدية لليهودي الأناني القاسي، وهي موجودة في مظان عدّة –كما ذكر سابقا- من الآداب العالمية وكذا التراث العربي منها ما جاء في كتاب "الإمتاع والمؤانسة" لأبي حيان التّوحيدي في معرض حديثه عن القصة التي جرت بين اليهودي والمجوسي اللّذين التقيا في سفر حين سأل كل واحد منهما الآخر عن عقيدته فأجاب اليهودي:" أعتقد أنّ في هذه السّماء إلها هو إله بني إسرائيل...وأسأله الخير لمن يوافقني في ديني ومذهبي فلا أعبأ بمن يخالفني بل أعتقد أنّ من يخالفني دمه يحلّ وحرام عليّ نصرته ونصيحته والرحمة به"18

من خلال هذا المقطع، والنّصوص المثلية آنفة الذكر يتبين أنّ قلّة الرّحمة والقسوة الموجودة عند اليهود راجعة أساسا إلى عقيدة ثابتة وجبلة راسخة نشأ عليها اليهودي فهو " واضح في مبادئه، همّه محصور بذاته وبقومه يرفض الآخر ويرى فيه عدوا" من هنا يمكن القول أنّ العلاقة الجدلية التي يكشفها المثل الشّعبي بين المجتمع الجزائري واليهود هي علاقة نفي متبادل، بحيث يتعصّب كل طرف لجماعته وعقيدته وفي هذا إقصاء للآخر ورفض له. وحتى وإن كانت الصّورة التي يعطيها المثل الشّعبي صورة حية ناطقة وجلية بوصفها خلاصةً لتجربة الشّعب، في حركته التّفاعلية مع الواقع، إلاّ أنها تبقى خاضعة للأنساق الثقافية المضمرة والمتجذّرة في الذهنية الشّعبية عبر عقود طويلة، والتي تعمل على توجيه العقل الجمعي واختزال الرّؤية النّمطية تجاه موضوعات الحياة.20

وفي هذا التوجه نستعين بمقولة هومي بابا Humi Baba الذي يرى في معرض حديثه عن الهوية أنّ الخرافات الشّعبية مثلا ليس بمقدورها أن تقدم شكلا ما لتمثيل الأنا بمراقبة صورة الآخر المختلف؛ أي أنّ التعصب للجماعة يدفع بالهويات لأن تكتسي ملمحًا علويًا مفارقا ذا مسحة مقدّسة... وغالبا ما تقدم الحكايات الشّعبية والأمثال تمثيل الأنا بوصفها مركزا محوريا، حتى في لحظات الضّعف التي قد تنتاب الهوية. فالبعد والمخالفة يولدان الإحساس بالخوف من الآخر المختلف، فيتم تمثيله بشكل سلبي، ولا يقتصر الأمر على لحظات ضعف الهوية بل يتم إنتاج الصّور ذاتها في لحظات المواجهة، أو نتيجة غرور لحظات القوة.21

2-2 الآخر النّصراني:

كان الحديث فيما تقدم يدور في فلك الآخر اليهودي، نأتي الآن إلى رصد صورة الآخر المسيحي من خلال الأمثال الشعبية المتداولة في الجزائر وهي قليلة —كما أُسْلِفَ الذكر-مقارنة مع الأمثال التي تتخذ من اليهودي موضوعا لها. وقد تناولت هذه الأمثال موضوعات متفرقة كالصّفات الجمالية والأخلاقية والثقافة الغذائية، وهذا ما تلخصه الأمثال الآتية:

- وين مشاو دراهمكم يالنصارى قالوا في العناد والخسارة.
- الخدمة مع النصارى ولا القعاد خسارة.
- كالرومية التقبقيب وقلّة النقيب.
- اللّي عينو في الزين ياخض فرنجية و.....

تجسّد لنا هذه الأمثال مشاهد حيوية ارتبطت بالآخر المسيحي في ذهنية المجتمع الجزائري، حيث عُرف عن المسيحي في المثل الأول صفة العناد سواء كان هذا العناد في عمليات الاستيلاء والاستيطان، أم في عمليات التّعذيب وملاحقة المجاهدين إبان فترة الاستعمار، وغير ذلك من عمليات الحكم على عادات وأصول المجتمع الجزائري بصفة عامة، وما يصحبه من نظرة استعلائية أو عمليات تقسيم أنثروبولوجية. كما عُرف عن النصارى ممارسة القمار وما يلحقه من تبعات الخسارة المالية.

لكن هذه المعرفة وهذا التّوجس الذي يبديه الحسّ الجمعي من الآخر النّصراني المتمثل في الاستعمار الفرنسي لا يعني مقاطعة هذا الآخر وعدم الاحتكاك به وهذا ما نجده في المثل الثاني الذي يدعو إلى العمل والتعامل مع الآخر النّصراني بدل القعود والبطالة، ويعود مضرب هذا المثل بحسب الرّواية الشفهيّة إلى انتشار البطالة والمجاعة بين الشّباب الجزائري الذي كان يفضل الموت جوعا على العمل في الحقول والمنازل التي استولى عليها الآخر النّصراني؛ لأنّ هذا يسيّد الفرنسي ويستعبد الجزائري. وهنا يأتي نص المثل الشعبي ليرخص لهم مشروعية العمل، مشفوعًا بمبرر وهو تفادي الخسارة والأضرار الناجمة عن القعود والمقاطعة.

يفصح هذا المثل عن وعي شعبي عميق يقدّر فقه الأولويات، حيث يقدمّ النفس على حسابات الآخر وإن أمعنا النظر والحفر فسيتجلى لنا نسق استغلال هذا الآخر – وان كان استغلالًا متبادلًا – حيث يجعل منه مطية لقضاء الحاجات وتلبية المتطلبات. فضلا عن

استغلال فرصة الاحتكاك لمعرفة طبيعته وعاداته، وهذا ما جاء به المثل الثّالث الذي يتكلم عن الثّقافة الغذائية لهذا الآخر وإن كان المثل يأتي في سياق السخرية إلا أنّه يكشف عن عادات وآداب الآخر الفرنسي – الرّومية–الغذائية والتي تتمثل بكثرة الأواني وما ينتج عنها من ضجيج –التقبقيب– إلّا أنّ هذه الكثرة لا تعكس كثرة الطعام ووفرته، بل قلّته ونقصه، وفي هذا مفارقة وانزياح من وجهة نظر الرّؤية الشعبية.

أمّا المثل الأخير فيمثل الشّطر الأول من المثل الذي يتكلم عن حيلة اليهود إلّا أنّه هنا يتكلم عن صفة الجمال التي تتمتع بها المرأة الفرنسية، وينصح الباحث عن الجمال بالزواج من الفرنسية أو الإفرنجية بحسب تعبير المثل الشعبي.

وتجدر الإشارة في الأخير أنّ صور الغيرية الدينية التي لمسناها في الخطاب المثلي ليست صورا مطلقة يمكن من خلالها أن نعمم الحكم على الآخر الديني بل هي مقتطفات من تجارب فردية وجماعية معينة يمكن أن تتغير نتيجة هذه التجارب مع أشخاص ومواقع أخرى، لذا يمكن القول أنّ هذه الصّور قد تكون منبثقة من "وطأة غياب الوعي الحقيقي بالآخر أو المنسربة من المسكوت عنه، كما يمكن أن تكون ناتجة عن رؤى وانطباعات المجتمعات الرابضة في مخيال الوعي الجمعي والتي تنمّ عن أنساق ثقافية ومعرفية عامة ذات منحى تنميطيّ فالغوص في أعماق الذّاكرة يحيلنا على تكتلات المفاهيم الصّادرة عن مسلمات فكرية أو ثقافية أو تتساوق مع رؤية معينة وإدراك محدد بأطر تاريخية واجتماعية أو ثقافية تتخطى الزمنية"22

الخاتمة:

توصل هذا المقال إلى مجموعة من النتائج يمكن تلخيصها في النقاط الآتية:

- يعدّ الخطاب المثلي بمثابة شاهد عدل يعكس الرؤى والتجاذبات والتيارات التي تعتمل داخل فكر الجماعة الشّعبية.

- حظي الآخر اليهودي بحصة الأسد من الأمثال الشعبية مقارنة بالآخر النصراني، وهذا راجع أساسا لأنّه يعدّ بحق جزءا من النسيج الاجتماعي الجزائري في فترة من فترات التاريخ بينما يمثل النصراني الآخر الطارئ المستعمر.

- تمسّك اليهودي بدينه وبشعائره العقائدية يعدّ محل احترام وتقدير من طرف الجماعة الشّعبية وله أفضلية العشرة والتعامل على الآخر الإمّعة.

- يوجد إقرار بحذق اليهودي وذكائه التجاري كما هناك نقد شديد لبخله وانطوائه.

- تتعصّب الجماعة الشعبية وتتحيز للعقيدة الإسلامية والثقافة العربية سواء أكان ذلك بوعي أو بدون وعي وهذا ما يجعلها تقصي الآخر اليهودي وتضعه في موضع هامشي.

- ارتبط الآخر النّصراني في وعي الجماعة الشعبية بدلالات العناد والاستيلاء لذا فالتعامل معه كان للضرورة مشوبا بالتوجّس تارة وبالسّخرية تارة أخرى.

الهوامش:

[1] سمير الخليل، دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي – إضاءة توثيقية للمفاهيم الثقافية المتداولة–دط، دار الكتب العلمية، لبنان، دت.، ص10.

[2] المرجع نفسه، ص، ن.

[3] المرجع نفسه، ص420

[4] ينظر: المرجع نفسه، ص239.

[5] ينظر: شرف الدين ماجدولين، الفتنة والآخر – أنساق الغيرية في السرد العربي–، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، 2009، ص19.

[6] ابن عبد ربه، العقد الفريد، دط، درا الفكر، بيروت، دت، ج3، ص63.

[7] ينظر: عبد الحميد بورايو، الأدب الشعبي الجزائري (دراسة لأشكال الأداء في الفنون التعبيرية الشعبية في الجزائر)، ط1، دار القصبة، الجزائر،2007، ص57.

[8] أحمد أمين، قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية، ط1، مطبعة لجنة التأليف، القاهرة ،1953، ص 61.

[9] أحمد أمين، فجر الإسلام، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1979، ص64.

[10] أحمد رشدي صالح، فنون الأدب الشعبي، ط3، مكتبة النهضة المصرية، مصر، 1971، ص06.

[11] إبراهيم فتحي، النقد الثقافي نظرة خاصة، فصول، ع63، 2004، ص131.

[12] مبجان الرويلي،سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي،ط4، 2005، ص305.

[13] عبد الله الغذامي وعبد النبي اصطيف، نقد ثقافي أم نقد أدبي؟، دار الفكر،دمشق،دط،2004،ص39.

[14] عبد العزيز حمودة، الخروج من التيه، دراسة في سلطة النص، عالم المعرفة، الكويت،دط،2003،ص259.

[15] عبد الحميد الحسامي، النقد السياسي في المثل الشعبي، دار مجدولاي، الأردن،ط1، 2014، ص40.

[16] ماجدة حمود، صورة الآخر في التراث العربي، ط1، الدار العربية للعلوم، لبنان/ منشورات الاختلاف، الجزائر، 2010، ص225.

[*] الغيتو: هو ذلك الجزء من المدينة الذي تقطنه أقلية من البشر بسبب ضواغط سياسية أو اقتصادية أو دينية وقد راج استعمال هذا المفهوم في فينيسيا – إيطاليا–في القرون الوسطى وكان يطلق على تلك الأحياء المعزولة التي يسكنها اليهود والمعنى الحرفي للغيتو يعني اليباب أو الجفاء وهو ما يتبقى من البركان بعد ثورته لدى أهل فينيسيا. سمير الحليل، دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي، ص235.

[17] محمد الحمامصي، يهود اليمن في كتاب عن الأمثال الشعبية – قراءة لكتاب ذاكرة الزنار لعبد الحميد الحسامي- ع54، صحيفة العرب، 2016/05، https://alarab.co.uk/يهود-اليمن-في-كتاب-عن-الأمثال-الشعبية ، بتاريخ2020/02/19، سا: 17:16.

[18] ماجدة حمود، صورة الآخر في التراث العربي، ص 160.

[19] المرجع نفسه، ص161.

[20] ينظر: محمد الحمامصي، يهود اليمن في كتاب عن الأمثال الشعبية، شبكة الانترنت.

[21] ينظر: سمير الخليل، دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي، ص419.

[22] المرجع نفسه، ص214.

فهرس

افتتاحية رئيسة التحرير.....ص6

1– د. إسحاق رحماني ود. بشرى السادات ميرقادري:

– الإبداع الشعري باستنفاد الطاقة الشعورية والسلوك العرفاني في ديوان حافظ الشيرازي.....**ص**8

2– د. فاطمة الزّهراء بوديسة ود.سماح بن خروف:

– الغيرية الدّينية في خطاب الأمثال الشّعبية الجزائرية..... **ص**33

3– أ– مؤيد أحمد سعيد خلف:

– خطبة الحَجاج حين وليَ العراق من منظور لسانيات النص.....ص49

4– د. سليم قسطي:

– مراحل الحداد في مرثية أبي ذؤيب الهذلي..... **ص**71

5– ليف تونيسين، ترجمة: د. مديحة عتيق:

– النسوية الإسلامية: محاضرة علنية..... **ص**99